

مقاربة الحتمية التكنولوجية (دراسة تاريخية تحليلية)

Approach to technological imperative (historical analytical study)

رشيد بن راشد¹، حسنية بلحاج²¹ جامعة محمد بن أحمد (وهران 2) - الجزائر.

kmourad374@gmail.com

² جامعة محمد بن أحمد (وهران 2) - الجزائر

hasnia23@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2019/11/10 تاريخ القبول: 2019/11/25 تاريخ النشر: 2019/12/01

ملخص :

قام مارشال ماكلوهان خلال الستينات من القرن الماضي بوضع تصور خاص ربط فيه بين الوسيلة والرسالة الإعلامية مؤكدا فيه تحديد نوعية الاتصال وتأثيره، ونظريته هي عبارة عن تصورات لتطور وسائل الاتصال وتأثيراتها على المجتمعات.

اعتمدنا في ورقتنا البحثية هذه المنهج التاريخي التحليلي للنظرية الماكلوهانية، بعرض التسلسل التاريخي للإرهاصات الأولى لظهور الحتمية التكنولوجية التي اشتهرت على يد ماكلوهان، وكان لعبارة الوسيلة هي الرسالة صدى كبير في مجال الإعلام والاتصال أسالت العديد من الحبر، غيرت مفهوم الوسيلة في المجتمع المعاصر، في المقابل طالب ماكلوهان نفسه بالابتعاد عن مصطلح الحتمية التكنولوجية والاستعاضة عنه بمصطلح آخر هو أن المتلقي يجب أن يشعر بأنه مخلوق له كيان مستقل على هذه الحتمية التي تنشأ نتيجة لتجاهل الناس ما يحدث حتميا ولا مفر منه.

الكلمات المفتاحية : مقارنة، حتمية، تكنولوجية

Abstract:

During the 1960s, Marshall McLoughlin developed a special vision in which he linked the medium to the media message, emphasizing the quality and impact of communication, and his theory is a perception of the development of communications and their impact on societies.

In our research paper, we adopted this analytical historical approach to The Macaloch theory, presenting the historical sequence of the first observations of the emergence of the technological imperative that was famous by McLuhan, and the phrase "medium" was a message that resonated greatly in the field of information and communication, which asked many inks, changed the concept of means in contemporary society.

Keywords: Approach, Inevitability, Technology

المؤلف المرسل: رشيد بن راشد

1. مقدمة:

إن أهم ما يميز النظرية هي قدرتها المستمرة في إيجاد تساؤلات جديدة بالبحث، إضافة إلى استكشاف طريق جديدة للبحث العلمي، بشكل عام نقول عنها بأنها مجموعة من البيانات والمعلومات المترابطة على مستوى عال من التجديد التي يمكن أن تؤكد الافتراضات التي يتم اختيارها بالمقاييس العلمية، وهي نظرية الحتمية التكنولوجية، هي إحدى أشهر نظريات الإعلام والاتصال في عصرنا هذا إذ لا نجد أخرى ورغم مئات النظريات تحظى بمثل شهرتها قيل وكتب عنها الكثير، صاحبها هو " McLuhan Marchal"، وكذلك هي نظرية اختزالية تهدف إلى توفير صلة سببية بين التكنولوجيا وطبيعة المجتمع تقول أن الإنسان يتأثر بوسيلة الاتصال التي يستخدمها بل إن الوسيلة هي التي تشكل طبيعة

مقاربة الحتمية التكنولوجية (دراسة تاريخية تحليلية)

المجتمع في ذلك الزمان، طرح مالكوهان ثلاثة افتراضات في هذه النظرية : القرية العالمية ، الوسيلة هي الرسالة، وسائل الاتصال الباردة والساخنة.

والإشكالية تتمثل في تفسير النظرية المالكوهانية لوسائل الإعلام بوضوح، ومن بين هذه المصادر المتنافسة للمعلومات التي تؤثر في الفرد والمجتمعات حيث أصبحت وسائل الإعلام لابد منها فهي موجودة في كل مكان ومصدرا إجباريا لتحديد كيف يتصرف الأفراد، ولهذا السبب فإن دراسة تأثير على المدى البعيد على عملية التطور الاجتماعي أضحت ضرورة علمية واجتماعية ، وهل يمكن لوسائل الإعلام والاتصال أن تلعب دورا مهما في تحديد طبيعة النظام الاجتماعي الجديد والسؤال الآن هو: ما الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام كعامل في عملية التطوير الاجتماعي في تحقيق هذه الأهداف الحساسة ؟ هذا العرض يأخذنا إلى طرح إشكالية تكمن في تأثير وسائل الإعلام والاتصال وما صورة ذلك التأثير، تكون صياغة سؤال الإشكالية كالآتي : هل يوجد حتمية تكنولوجية لوسائل الإعلام والاتصال ؟ ومن خلال هذا التساؤل تتفرع أسئلة أخرى :

- ما صحة افتراض أن العالم أصبح قرية عالمية ؟
- كيف تكون الوسيلة هي الرسالة ؟
- ما هي الوسائل الساخنة والباردة ؟

في هذه الدراسة استخدمنا المنهج التاريخي التحليلي كطريقة للبحث في نظرية الحتمية التكنولوجية عن طريق استقراء التسلسل التاريخي لوسائل الاتصال وفق النظرية الحتمية لمالكوهان، بإعطاء أمثلة واقعية عن النظرية وافتراضاتها ومن خلال الاستقراء نستخلص النتائج عن الأمثلة ثم بعدها نصدر الحكم عنها، الأدوات المستعملة في الدراسة هي المادة الخام للنظرية بجميع فروضها لتحليلها عن طريق التحليل.

وتكمن أهمية الدراسة بأنها كانت ولا تزال نظرية الحتمية التكنولوجية حديث المفكرين وتشغل بال الباحثين وكذلك في العصر الحالي أصبحت وسائل الاتصال لها عدة جوانب في ميدان الإعلام فوجب التطرق إلى النظرية كنوع من التحقق من تأثير هذه الوسائل في الوقت الحالي على خلفية الحتمية ومن بين أهداف الدراسة ما يلي: التعرف على النظرية ومدى تأثيرها في الوقت الحالي، ورصد كل افتراضات النظرية ومطابقتها مع الواقع، ثم مناقشة حدود تأثير النظرية على خلفية التكنولوجيا الحديثة، وكذلك المزيد من البحث والتراكم المعرفي في مجال البحوث العلمية، ثم أسباب ذاتية علمية للباحث لدراسة وتحليل النظرية من منظور علمي محض، وحتى يتسنى للقارئ فهم الدراسة واستيعاب المشكلة وجب تحديد مفاهيم ومصطلحات الدراسة كالآتي:

• مقارنة:

المقاربة هي مصدر غير ثلاثي على وزن مفاعله، فعله قارب على وزن فاعل المضارع منه يقارب ومثله وهي تعني في دلالتها الغوية المعنى دناه وحادثه بكلام حسن فهو قربان، وهي قرى ومنها تقارب ضد تباعد، ويقصد الكيفية العامة أو الخطة المستعملة لنشاط ما مرتبطة بأهداف معينة والتي يراد منها دراسة وضعية، أو مسألة أو حل مشكلة أو بلوغ غاية معينة أو الانطلاق في مشروع ما وقد استخدمت في هذا السياق كمفهوم تقني للدلالة على التقارب الذي يقع بين مكونات العملية العقلية التي تربط فيما بينها عن طريق علاقة منطقية لتتأثر فيما بينها من أجل تحقيق غاية تعليمية وفق إستراتيجيه تربوية وبيداغوجية واضحة (شحاتة، 2008، صفحة 46).

إن البحث السوسولوجي ليس مجرد كم هائل من المعلومات المتحصل عليها من الملاحظة أو من إجابات المبحوثين على أسئلة الاستمارة فقط، بل يجب أن تكون له خلفية نظرية يعمل من خلالها على توضيح أبعاد المشكلة وتحديد

مقاربة الحتمية التكنولوجية (دراسة تاريخية تحليلية)

وجهة منهجية البحث والطالب يطلع على نظريات اجتماعية، (عثمان، 2011، صفحة 90) وعندما يقوم ببحث ميداني غالبا ما يقع في خطأ منهجي بقيامه بتقسيم البحث إلى قسمين نظري وميداني دون الربط بينهما فيصبح البحث مجرد عمليات لجمع المعلومات بواسطة تقنيات البحث الميداني والنظريات يمر عليها ويعتبرها مجرد نظريات لا واقعية تدرس لأنها جزء من البرنامج المقرر لا غير أو يضعها كعنوان منفصل عن البحث بينما الأصل في توظيف النظرية هو مصاحبة البحث من بداية تحديد العنوان إلى غاية الوصول إلى نتائج.

• حتمية:

فرضية فلسفية تقول أن كل حدث في الكون بما في ذلك إدراك الإنسان وتصرفاته لتسلسل منطقي سببي محدد سلفا ضمن سلسلة غير منقطعة من الحوادث التي يؤدي بعضها إلى بعض وفق قوانين محددة يؤمن البعض بأنها قوانين الطبيعة في حين يؤمن آخرون بأنها قضاء الله وقدره الذي رسمه للكون والمخلوقات ، وبالتالي فنظرية الحتمية يمكن تبنيها من قبل أشد الناس إلحادا وتمسكا بالقوانين العلمية كما يمكن تبنيها من قبل أشد الناس إيمانا (عثمان، 2011، صفحة 121)، في الحتمية لا يمكن حدوث أشياء خارج منطق قوانين الطبيعة وبالتالي لا للتجربة أو عدم امتلاكه للصياغة الدقيقة للقانون الطبيعي، لكن هذا القانون موجود والنتيجة محددة سلفا.

القضية الأولى التي تناادي بها الفلاسفات الحتمية هي أن الإرادة الحرة ما هي إلا وهم إنساني، يمكن التمييز بين موقفين أو مدرستين : مدرسة تقول أن جميع الحوادث المستقبلية محددة سلفا ومستحدث، ضرورة والمدرسة الثانية تقول أن الحتمية التي ترتبط أساسا وتعتمد على الأفكار المادية والسببية وهو موضوع يبحثه الفلاسفة خاصة منهم : ديفيد هيوم، توماس هوبز، ايمانويل كانط.

• **تكنولوجيا:**

التكنولوجيا هي كلمة ذات أصل يوناني تتكون من مقطعين، الأول : Techno ويعني حرفة أو مهارة أو فني، أما المقطع الثاني : Logy فيعني علم أو دراسة ومن هما كلمة تكنولوجيا تعني الأداء أو علم التطبيق، (احمد، 2016، صفحة 56) حيث أورد الكثير من العلماء تعريفات أخرى جديدة لكلمة التكنولوجيا ونستعرض بعضها فيما يلي: هي عملية شاملة تقوم بتطبيق العلوم والمعارف بشكل منظم في ميادين عدة لتحقيق أغراض ذات قيمة عملية للمجتمع، وتعرف بأنها الاستخدام الأمثل للمعرفة العلمية وتطبيقاتها وتطويعها لخدمة الإنسان ورفاهيته، والمفهوم الشائع لمصطلح التكنولوجيا هو استعمال الكمبيوتر والأجهزة الحديثة وهذه النظرة محدودة الرؤية، فالكمبيوتر نتيجة من نتائج الموجودة أي أنها وسيلة وليست نتيجة، وأنها طريقة التفكير في استخدام المعارف والمعلومات والمهارات بهدف الوصول إلى نتائج لإشباع حاجة الإنسان وزيادة قدراته.

2. المناقشة:

الحتمية التكنولوجية من إينيس إلى ماكلوهان : في خضم الحرب العالمية الثانية وما شاهدهه أوروبا من موجات عدم الاستقرار، اتجهت أنظار البحث في علوم الإعلام والاتصال نحو القارة الأمريكية فأنجزت النصف الثاني من القرن الماضي العديد من الدراسات والبحوث الاتصالية التي تناولت الاتصال الجماهيري العمليات الاتصالية، الرسائل الإعلامية مضامين الرسائل، وسائل الإعلام ، تأثير الرسائل الإعلامية على سلوك المشاهد، المستمع، القارئ (جابر، 2001، صفحة 36)، وغيرها التي تشكل اليوم التراث النظري لهذا العلم وقد كانت كندا واحدة من الدول التي أثبتت باحثوها براعة في التقصي الميداني والإنتاج المعرفي الغزير،

مقاربة الحتمية التكنولوجية (دراسة تاريخية تحليلية)

وقد أكدوا أن النظريات هي بمثابة مرجعيات لكثير من الدراسات اليوم على غرار "هارولد إينيس" و "مارشال ماكلوهان".

ولطالما اعتقد "هارولد إينيس" الجغرافي والاقتصادي السياسي الكندي أن تكنولوجيا الاتصال تشكل أساس العمليات السياسية والاقتصادية لكنه كان قد أعلن فرضيته هذه وبدأ اختبارها متأخرا، وذلك بعدما بات واضحا أن هناك نوع من السيطرة تتعرض لها بلده كندا من دول الجوار بريطانيا والوم. أ. اللتان تملكان نظاما اتصاليا تكنولوجيا قويا بإمكانه أن يضرب في قلب الحياة الثقافية في كندا، ويهدد تنظيمه الاجتماعي في داخل وجود أزمة انحرافات تكنولوجية، (مشاقبة، 2015، الصفحات 74-75) كما تبين أن هناك نوع من السيطرة السياسية على المكان والزمان من قبل محتكري المعرفة والتكنولوجيا، حيث تبلورت نتائج بحوث "إينيس" من خلال دراسة الإمبراطورية في سنة 1950 و انحراف الاتصال في سنة 1951، وقد جاءت فرضيات "إينيس" وبحوثه بمثابة المبشر لميلاد نظرية جديدة تهتم بأثر تكنولوجيا الاتصال على ثقافة المجتمعات وقدرتها على إحداث التغيير بها والتي نسبت فيما بعد لتلميذه "مارشال ماكلوهان" بعدما طورها وأعطاهها تسمية الحتمية التكنولوجية فيما بعد (العلاق، 2013، صفحة 82)، والترتيب الزمني لتطور الاتصال البشري عند "ماكلوهان": مرتطور الاتصال الإنساني عبر المراحل التالية:

مرحلة الاتصال الشفهي: تعتمد المرحلة الشفوية كلية على الاتصال الشفهي، مرحلة ما قبل التعلم أي المرحلة القبلية وقد استغرقت معظم التاريخ البشري. (اصبح، 1999، صفحة 91)، ووفقا لما يقول "ماكلوهان" أن الناس يتكيفون مع الظروف المحيطة عن طريق توازن الحواس الخمس: السمع، البصر، المس، الشم، التذوق، (عماد، 2008، صفحة 51) مع بعضها البعض، وكل اختراع تكنولوجيا جديد يعمل على تغير التوازن بين الحواس فقبل اختراع

"جونتبرغ" للحروف المتحركة في القرن الخامس عشر كان التوازن القبلي القديم يسيطر على حواس الناس حيث كانت حاسة السمع هي المسيطرة للإنسان في عصر ما قبل التعلم يعيش في عالم بع أشياء كثيرة في الوقت نفسه في عالم الأذن، ويطلق عليها المرحلة الشفهية الكلية أو مرحلة ما قبل التعلم وكانت وسيلة الاتصال الرئيسية فيما هي الكلمة المنطوقة والحاسة الأساسية هي السمع، أي أن الاتصال يتم مباشرة من الفم إلى الأذن مما دعم العلاقات الاجتماعية وتماسك المجتمع في وحدات قبلية مندمجة وكانت الإشاعة هي أول شكل من أشكال الإعلام والاتصال (عماد، 2008، صفحة 79).

الاتصال السطري: مرحلة الكتابة: وفيها عرف الإنسان اللغة المكتوبة وأصبحت حاسة البصر الحاسة الرئيسية للتواصل، وكان السومريون أول من اخترع طريقة الكتابة سميت بالطريقة السومرية واستطاعوا الكتابة على الطين اللين وذلك منذ حوالي 3600 سنة ق. م وقد مرت الكتابة بدورها بالعديد من المراحل فقد انطلقت من الكتابة التصويرية بمعنى الوصف التصويري إلى نظم علم الصوتيات أو الكتابة على أساس النطق وتعتبر الرسومات الدقيقة للحيوانات ومشاهد الصيد أقدم المحاولات لتسجيل المعلومات وكانت الأحجار أول وسيط يتم تسجيل المعلومات عليه، ثم تطورت الكتابة حيث اخترع الفينيقيون الحروف الأبجدية أو الكتابة " الألف بائية" وربما قبلهم الشاميين في سوريا في الحقبة الواقعة 2000-1000 سنة ق (لبنى، 2018، صفحة 891)، وأكمل اليونانيون مسيرة تطور الكتابة باختراعهم الأبجدية التي تشتمل على حروف متحركة وذلك في القرن الثامن إلى القرن السادس ق.م وبالإضافة إلى الكتابة على الطين والحجر فقد كانت الكتابة كذلك على العظام والخشب واستعمال الطبول والنار والحمام الزاجل، وقد اجتهد المصريون فاستخدما ورق البردي حوالي 2500 ق.م ثم تمكن الصينيون من اختراع الورق من لحاء شجر التوت حوالي 105 م واستطاع

مقاربة الحتمية التكنولوجية (دراسة تاريخية تحليلية)

المسلمون الحصول عليه بعدما امتدت فتحاتهم لتتجاوز الصين شرقا حوالي منتصف القرن الثامن، ثم أنتجوا ورق من ألياف الكتان ثم أول مصنع إنتاج للورق في التريخ في مدينة سمرقند (عائشة، 2017، صفحة 65)، وباختصار يمكننا القول أن المجتمعات ما قبل التعليم كانت تحتفظ بالمضمون الثقافي في ذاكرة أجيال متعاقبة ولكن تغير أسلوب تخزين المعرفة حينما أصبحت المعلومات تخزن عن طريق الحروف الهجائية، وهذا حلت العين محل الأذن كوسيلة الحس الأساسية التي يكتسب بفضلها الفرد معلوماته ، وسهل الكلام البشري الذي تجمد زمنيا.

التواصل عن طريق المطبوع: قد أكمل اختراع "جونتبرج" ثورة الحروف الهجائية فأسرعت الكتب بعملية فك الشيفرة التي تسميها قراءة وتعد نسخ المتطابقة، يقول "ماكلوهان" أن الناس لا يقرؤون الجريدة فعلا بل يدخلونها كل صباح مثلما يأخذون حماما ساخنا (قرناني، 2016، صفحة 69)، وأطلق عليها كذلك مرحلة الطباعة، ساعد المطبوع على نشر الفردي لأنه شجع كوسيلة أو أداة شخصية التعلم المبادرة والاعتماد على الذات ، ولكن عزل المطبوع البشر فأصبحوا يدرسون وحدهم ويكتبون وأصبحت لهم وجهات نظر شخصية عبروها عن أنفسهم للجماهير الجديد الذي جعله المطبوع وأصبح التعليم الموحد ممكنا (النجار، 2015، صفحة 132)، أحدثت الصحافة المطبوعة تغير جذري، فبدأ الأفراد يعتمدون الحصول على معلومات لهم أساسا على الكلمة المطبوعة بدلا من الكلمة المنطوقة وأصبح على تطوير عادل عمل فئات، أي وضع كل شيء بنظام في فئات المهن والأسعار والمكاتب والتخصصات، وأدى المطبوع في النهاية إلى جعل الاقتصاد الحديث والبيروقراطية والجيش الحدث والقومية نفسها، ويقول "ماكلوهان" في كتابه " مجرة جونتبرج " سنة 1962 م أن اختراع الطباعة بالحروف المتحركة، عمل على تشكيل ثقافة أوروبا الغربية في الفترة ما بين قرن

15 و قرن 19 فقد شجع الإنتاج الجماهيري للمواد المطبوعة على انتشار القومية لأنه سمح بانتشار كبير وسريع للمعلومات أكثر من المكتوب باليد فهذه الثورة التكنولوجية : اختراع الطباعة فصلت القلب عن العقل والعلم (يوسف، 2007، صفحة 113).

العودة إلى الاتصال الشفهي: وهي مرحلة بدأت في منتصف القرن 19 واستمرت حتى أوائل التسعينيات من القرن الماضي وظهر في هذه المرحلة التلغراف واستطاع "الكسندر غراهام بيل" في سنة 1874 أن يخترع الهاتف ثم استخدمت الكاميرا في مجال السينما التي افتتحت في باريس سنة 1895 من طرف الإخوة "لوميير" والتي ابتدأت كسينما صامتة لتصبح سينما ناطقة عام 1926، وكان أول عمل سينمائي ناطق هو فيلم مغني الجاز (بدر، 2007، صفحة 187)، ثم تلاها ظهور الإذاعة وبعدها التلفاز لتبدأ بعد ذلك أنظمة الاتصالات عبر القارات وبفضل الامتزاج بين الوسائل الرقمية مثل الحاسبات الالكترونية وغيرها وهنا ظهر مجتمع المعلومات تمثله الانترنت بقوة، ويسمى "ماكلوهان" المرحلة التي يعيشها حاليا عصر الدوائر الإلكترونية كما تتمثل بشكل خاص في التلفزيون والكمبيوتر فالإلكترونيات بتوسعها وتقيدتها لعمل العقل البشري، وضعت نهاية لأسلوب تجريد الواقع وإعادة القبلية للفرد مرة أخرى عبد ، مما أحدث نتاج ثقافية واسعة النطاق يقول "ماكلوهان" أن الأنماط الكهربائية للاتصال مثل التلغراف والراديو والتلفزيون والسينما والهاتف (عرفة، 2020، صفحة 122).

نظرية "ماكلوهان" اعتمدت على فروض ثلاث: الفرضية الأولى وعرفت بالقرية العالمية وتقوم على اعتبارات أن العالم أصبح قرية صغيرة كما سماها في كتابه، مصطلح القرية العالمية أطلقه المفكر الكندي "ماكلوهان" في الستينات من القرن العشرين لوصف التغيرات التي طرأت على المجتمعات الحديثة بسبب انتشار وسائل الاتصال والإعلام ، قال "ماكلوهان" أن البشر أصبحوا متصلين

مقاربة الحتمية التكنولوجية (دراسة تاريخية تحليلية)

بشكل متزايد عن طريق تقنيات الاتصال الإلكترونية التي أزالَت حواجز المكان والزمان بحيث تقلص العالم ليصبح قرية عالمية، وفي هذه القرية العالمية وبحسب نظرية "ماكلوهان" يلتقي الناس بعضهم البعض (David, 2000, pp. 45-46)، ويشعرون بتقارب متزايد يعود بهم إلى العصر القبلي الذي من أهم خصائصه الاعتماد على الاتصال الشفهي المباشر، نجد هنا أن "ماكلوهان" قد تنبأ بخصائص الاتصال في عصر الانترنت والتواصل الاجتماعي.

الفرضية الثانية: الوسيلة هي الرسالة وهي عبارة صاغها "ماكلوهان" تعني أن شكل الوسيلة يضمن نفسه في الرسالة ويصنع علاقة تكافلية والتي عن طريقها تؤثر الوسيلة في الطريقة التي ينظر بها إلى الرسالة، وبالنسبة إلى "ماكلوهان" الوسيلة نفسها شكلت وسيطرت على نطاق وشكل روابط الإنسان وأفعاله، ومع أخذ الفيلم كمثال على ذلك أن الطريق الذي سلكته الوسيلة مع مفاهيم السرعة والوقت حولت عالم التسلسل والتتابع والاتصالات إلى عالم الإبداع التصوري والهيكلية، ولذلك فإن الرسالة من وسيلة الفيلم هو التحول من الاتصالات المباشرة إلى الصور (Mark, 2011, pp. 66-71).

الفرضية الثالثة : الوسائل الساخنة والباردة ، لقد ابتكر "ماكلوهان" في تعريفه لذلك الميكانيزم اصطلاحات فئات الساخن والبارد ليصف في نفس الوقت بناء وسيلة الاتصال أو التجربة التي يتم نقلها ومدى تفاعلها، الوسيلة الساخنة هي الوسيلة التي لا تحافظ على التوازن في استخدام الحارس أو الوسيلة التي تقدم المعنى مضمونا جاهزا إلى حد ما، مما يقلل احتياج الفرد للخيال لكي يكون صورة للواقع من العلاقات التي تقدم إليه (راسم، 2011، الصفحات 109-111)، والوسيلة الباردة فهي الوسيلة التي تحتاج إلى أن تحافظ على التوازن بين الحواس وتحتاج إلى قدر كبير من الخيال، فيعتبر "ماكلوهان" المطبوع والراديو من الوسائل الساخنة التي تستخدم كل الفيلم المنطوق والتلفزيون من الوسائل

الباردة التي تحتاج إلى أقصى درجة من الجهد الخيالي من طرف المتفرجين أو هي أقرب إلى الوسيلة الساخنة أو التجربة الساخنة درجة وضوحها مرتفعة للأشياء الطبيعية فهي على درجة عالية من الفردية ، كما أن بها قدرا كبيرا من المعلومات المطلوبة ولا نحتاج إلى مساهمة كبيرة من جانب المتلقي أما الوسيلة الباردة فدرجة وضوحها منخفضة والمعلومات التي تنقلها أيضا منخفضة وتتطلب من الجمهور المساهمة لتكملة التجربة.(Ortiz, 2014, p. 125)

3. التحليل:

بينما يعتبر "ماكلوهان" أن تأثير الوسيلة نفسها نافع ومفيد، إلا أن تأثيرات الرسالة نفسها متنوعة أكثر من الوسيلة نفسها بحيث لا يمكن فصل واحدة عن الأخرى، فالأخبار في الرأي هي الأخبار بصرف النظر عن الوسيلة التي. كما أن هناك حاجة إلى التفكير في موضوع الخيال الذي يحتاج إلى نوع من الاتصال وهو الأمر الذي لفت "ماكلوهان" أنظارنا إليه، فهناك من يقول أن قدر الخيال الذي يحتاج إليه ترجمة المطبوع إلى صور واقعية أكبر من ذلك الذي تتطلبه مشاهدة التلفزيون، كما أن هناك من يقول أن غياب الصوت في الأفلام الصامتة يحتاج إلى خيال أكبر من الخيال الذي تحتاج إليه الأفلام الناطقة. كلا من "ماكلوهان" و"هارولد" يعتبران أن نمو وتطور المطبوع إلى عصر التلفزيون الجديد وأن التلفزيون سوف يعيد التوازن الصحي للحواس وسوف يجعل الفرد يهتم بأمور أخرى غير شؤونه الخاصة ما سوف يعيد الأحاسيس القبلية إليه، فإن "ماكلوهان" يرى أن مد جهازنا العصبي تكنولوجيا يغمسنا في حركة تجمع عالمية للمعلومات وتمكن الإنسان من إدماج البشرية كلها داخله، لكنه هنا يجمع الناس إلكترونيا فقط.

إذا نظرنا إليها أنها وسيلة لنشر المعلومات والترفيه فنحن نهتم أكثر بمضمونها وطريقة استخدامها والهدف من ذلك الاستخدام وإذا نظرنا إليها كجزء

مقاربة الحتمية التكنولوجية (دراسة تاريخية تحليلية)

من العملية التكنولوجية التي بدأت تغير وجه المجتمع كله شأنها في ذلك شأن التطورات الفنية الأخرى فنحن نهتم بتأثيراتها بصرف النظر عن مضمونها، من وجهة نظر "ماكلوهان" أن مضمون وسائل الإعلام لا يمكن النظر إليه مستقلا عن تكنولوجية الوسائل الإعلامية نفسها فالكيفية التي تعرض بها المؤسسة الإعلامية الموضوعات والجمهور الذي توجه له رسالتها ، يؤثران على ما تقوله تلك الوسائل ، ولكن وسائل الإعلام التي يتصل بها الإنسان تشكل المجتمعات أكثر مما يشكلها مضمون الاتصال، فحينما ينظر "ماكلوهان" إلى التاريخ يأخذ موقفا تستطيع أن تسميه بالحتمية التكنولوجية، فبينما كان "كارل ماكس" يؤمن بالحتمية الاقتصادية وبأن التنظيم الاقتصادي للمجتمع يشكل جانبا أساسيا من جوانب حتمية وبينما كان "فرويد" والمجتمع يؤمن بأن الجنس يلعب دورا أساسيا في حياة الفرد، طالما دافع "ماكلوهان" بأن الاختراعات التكنولوجية المهمة هي التي تؤثر تأثيرا أساسيا على المجتمعات وقد تابع فكرته بشكل أكثر تعمقا ليعرف أهميتها التكنولوجية، مما جعله يطور فكرة محدودة عن الصلة بين وجود الاتصال الحديث في المجتمع والتغيرات الاجتماعية التي تحدث في ذلك المجتمع، وفي الوقت الذي يؤمن فيه بما أسماه بالحتمية التكنولوجية، يبقى السؤال: هل تلغي هذه الحتمية شعور الإنسان بأنه مخلوق له كيان مستقل قادر على التغلب على هذه الحتمية التي تنشأ نتيجة لتجاهل الناس لما يحدث حولهم، حيث تؤثر الاختراعات التكنولوجية المهمة تأثيرا أساسيا على المجتمعات؟ وهذا الاتجاه المعاكس بين حتمية التكنولوجيا والاستقلالية عنها يطرح استفهاما آخر: هل يمكن اعتبار التغير التكنولوجي حتميا لا مفر منه؟، يجيب "ماكلوهان" عن ذلك في أنه إذا فهمنا عناصر التغير يمكن السيطرة على التكنولوجيا واستخدامها في الوقت الذي نريده بدلا من الوقوف في وجهها.

ولكن السؤال الأهم الذي يجيب عليه "ماكلوهان": هل يمكن أن تعالج وسائل الإعلام مشاكل المجتمع؟، فيوضح أن وسائل الإعلام التي يستخدمها المجتمع أو يضطر إلى استخدامها ستحدد طبيعته أي المجتمع وكيفية معالجة مشاكله، وأي وسيلة أو امتداد للإنسان تشكل ظروفًا تؤثر على الطريقة التي يفكر بها ويعمل وفقًا لها، وتربط نظريته بين الرسالة والوسيلة الإعلامية، ففي الوقت الذي يرى فيه بعض الباحثين الإعلاميين أن الوسيلة هي المحددة لنوعية الاتصال وتأثيره، فإنه يرى أن الوسيلة هي الرسالة، مبينًا أن مضمون وسائل الإعلام لا يمكن النظر إليه مستقلاً عن تقنيات الوسائل الإعلامية، فالموضوعات والجمهور يؤثران على ما تقوله تلك الوسائل، ولكن طبيعة وسائل الإعلام التي يتصل بها الإنسان تشكل المجتمعات أكثر ما يشكلها مضمون الاتصال، وإذا تطرقنا إلى المراحل الأربعة المطروحة من قبل "ماكلوهان" حول تطور التاريخ الإنساني: الشفوية ما قبل التعلم، والكتابة أو النسخ، وعصر الطباعة، وعصر وسائل الإعلام الإلكترونية، ويقسم وسائل الاتصال إلى باردة وساخنة، ويقصد بالأولى: التي تتطلب من المستقبل جهداً إيجابياً في المشاركة والمعايشة والاندماج فيها، مثل: الكتابة والهاتف والتلفزيون، ويقصد بالثانية: هي الوسائل الجاهزة المحددة نهائياً، وبما أن الكرة الأرضية أصبحت «قرية عالمية»، فإنه يؤكد أن ذلك أدى إلى ما أسماه «عصر القلق»، حيث توضح نظريته أن وسائل الإعلام الإلكترونية ساعدت في انكماش الكرة الأرضية وتقلصها في الزمان والمكان حتى وصفت بالقرية الصغيرة فزاد وعي الإنسان بمسؤوليته إلى درجة قصوى، وهذه الحالة أدت إلى ما يمكن تسميته "بعصر القلق" لأن الثورة الإلكترونية الفورية الجديدة تجبر الفرد على الالتزام والمشاركة بعمق.

يقول "ماكلوهان" إنه باندماج التلفزيون والكمبيوترات وقواعد البيانات تكتسب تكنولوجيات التواصل معنى في حد ذاتها يتعدى مجرد محتوى المعلومة التي توصلها إلى الزبائن، ويضيف أن الوسيلة وليس المحتوى الذي تقدمه، هي التي تؤثر في المجتمع وتلعب دورا ليس فقط بواسطة المحتوى الذي تقدمه ولكن أيضا بخصائص الوسيلة نفسها، وكانت هذه النظرية الخطوة الأولى لبناء ما أطلق عليه بعد تطورها اسم القرية العالمية في توصيف لما أضحي عليه العالم بفضل التكنولوجيات القادرة على ربط الناس بشكل حيني في كافة أنحاء المعمورة، محطمة بذلك الحواجز المادية للوقت والمكان، لكن بأشكال عديدة، ما يختبره مستعملو وسائل الإعلام المعاصر على شبكة الإنترنت اليوم بعيد كل البعد عن العيش في قرية عالمية متجانسة، بل تتداخل الأوضاع، وما كان وسيلة للترفيه والتواصل أضحي أيضا وسيلة للابتزاز والإرهاب وتهديدا للذاكرة الجماعية، ولم تعد فكرة القرية العالمية والحدود المفتوحة اليوم تأسهوي الكثيرين، سواء في العالم الواقعي أو الافتراضي، وكان رد البعض من الراضين للعوامة الحد من أنشطتهم لتقتصر على دوائر مماثلة في التفكير على الشبكة، وفي بعض الأحيان الانسحاب من العالم الرقمي ونزعوا إلى مسار الشعبية والقومية الانعزالية في العالم المادي، وترصد دراستان نشرتا في وقت متزامن، واحدة نشرها مركز "سترافور" للأبحاث الأمنية والإستراتيجية الأميركي، والثانية صدرت عن مجلة "نيتشر" العملية مظاهر هذه التحولات من خلال مشهدين يبدوان في الظاهر متباعدا لكنهما يجتمعان في التأثير بالتطور الحاصل في نظرية ماكلوهان، ويعتمد محلل الشؤون العالمية في معهد "سترافور لوك دي كايسر" تطورات هذه النظرية انطلاقا من كتاب صدر حديثا للباحث "رامش سرينيفاسن" المتخصص في مجال العلاقات بين التكنولوجيا والسياسة والمجتمع بعنوان "القرية العالمية

من؟: إعادة التفكير في كيفية تشكيل التكنولوجيا لعالمنا"، فيما تركز دراسة "مجلة نيتشر"، التي أعدتها لورا سبيني، على تأثير هذه النظرية في الذاكرة الجماعية للعالم انطلاقاً من الإجابة على تساؤل: كيف يساهم فيسبوك وتويتر وإنستغرام والأخبار الزائفة وأصدقاء العالم الافتراضي في تحريف الذاكرة وتغيير التاريخ.

ركزت النظرية على الدور الرئيسي الذي تقوم به وسائل الاتصال من جهة والتكنولوجيا المستعملة في وسيلة الاتصال المسيطرة في كل مرحلة من مراحل التاريخ، من جهة اعتبر "ماكلوهان" بأن المواصفات الأساسية لوسيلة الاتصال المسيطرة في فترة زمنية هي التي تؤثر على التفكير وكيفية تنظيم المجتمعات أكثر من مضمون الرسالة الاتصالية من منطلق أن التحول في تكنولوجيا الاتصال يؤدي إلى التحول في التنظيم الاجتماعي بل في حواس الإنسان التي تصبح الوسائل امتداد لها كاميرا العين، الميكروفون للسمع، الحاسيات للعقل، وطالب "ماكلوهان" بالابتعاد عن مصطلح الحتمية التكنولوجية والاستعاضة عنه بمصطلح آخر وهو أن المتلقي يجب أن يشعر بأنه مخلوق له كيان مستقل قادر على هذه الحتمية التي تنشأ نتيجة لتجاهل الناس ما يحدث حتمياً ولا مفر منه من منطلق إذا عرفنا التغيير يمكن أن نسيطر عليه ونستخدمه في أي وقت نريد بدلاً من الوقوف بوجهه عام.

Bibliographie

David, B. J. (2000). Remediation Undertand New Media. USA: The MIT Pirns.

Mark, H. (2011). Devloper's Guid To Social P rograming. canada: Addison wesley profesional.

Ortiz, D. (2014). Twitter for good chande the world One Teetat a Time. USA: Jossey Bass.

ابراهيم عيسى عثمان. (2011). النظرية المعاصرة في علم الاجتماع. عمان: دار الشروق.

احمد بدر. (2007). اصول البحث الاجتماعي ومناهجه. الكويت: وكالة المطبوعات.

اشراق كمال عرفة. (2020). افضل 7 هواتف ذكية في 2020. فوياج ، 9 (5)، 122.

الجمال محمد راسم. (2011). مناهج البحث في الدراسات الاعلامية. مصر: دار الشروق للنشر والتوزيع.

الزهرة بن عائشة. (2017). الاعلام الرياضي بين الحتمية التكنولوجية والحتمية القيمة. مجلة العلوم التكنولوجية للنشاطات البدنية والرياضية ، 15 (2)، 265.

بسام عبد الرحمن مشاقبة. (2015). نظريات الاتصال. عمان: دار اسامة للنشر والتوزيع.

بشير العلاق. (2013). نظريات الاتصال مدخل كامل. عمان: اليازوري.

بيومي محمد احمد. (2016). الملامح الجديدة للهواتف الذكية. الجزائر: دار المعرفة الجامعية.

تمار يوسف. (2007). تحليل المحتوى للباحثين والطلبة الجامعيين. الجزائر: طاكسيج للدراسات والنشر والتوزيع.

- جابر عبد الحميد جابر. (2001). نظريات الشخصية. القاهرة: دار النهضة.
- حسن شحاتة. (2008). معجم المصطلحات التربوية والنفسية. القاهرة: الدار المصرية للنشر.
- سويقات لبنى. (2018). الحتمية التكنولوجية. مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، 9 (2)، 891.
- صالح الخليل ابو اصبح. (1999). مبادئ الاتصال الجماهيري. رام الله: دار وائل للنشر والتوزيع.
- كمال النجار. (2015). كوكب الهواتف الذكية. ارامكو ، 64 (2)، 132.
- مكاوي حسن عماد. (2008). الاتصال ونظرياته المعاصرة. القاهرة: الدار المصرية.
- ياسين قرناني. (2016). قراءة تحليلية لنظرية الحتمية التكنولوجية والحتمية القيمية. مجلة العلوم الاجتماعية ، 3 (1)، 69.